في ذكرى المتحف

إيناس كريم

نهب تراث الرافدين

٧-١

أدى انهيار النظام السابق في نيسان من عام ٢٠٠٣ إلى غياب تام لأجهزة النظام العامة ، وكانت من أخطر نتائج هذا الغياب تفشي أعمال السلب والنهب للأموال العامة والخاصة في عموم العراق ، وكان من الأحداث المأساوية التي هزّت الوجدان العام هو تدمير المتاحف والمواقع الآثارية الغنية بكنوز لا تقدر بثمن، فتعرض التراث التاريخي والأثري العراقي إلى تهديد بالانقراض ، حتى ان عمليات النهب المنظمة لم تتردد في طرد علماء الآثار من مواقع سومر وأكد وآشور ، وباقي حضارات بلاد ما بين النهرين .

الكثير من المهتمين بالذاكرة العراقية أعلنوا غضبهم وحزنهم ودهشتهم لعدم قيام القوات العسكرية الغازية بشيء ازاء هذه العمليات ، لكن حينما تبدى لهم في ما بعد انه تم اعلام الادارة الامريكية باحتمالات وقوع اعمال نهب على نطاق واسع للمرافق الثقافية وعلى رأسها المواقع الآثارية ، ودور الكتب والوثائق والمتحف العراقي قبيل الغزو بمدة تأكدوا من مسألة تورط الادارة العسكرية في تدمير الذاكرة العراقية، بسبب ان القيادة العسكرية الامريكية، ووكالة الاستخبارات المركزية ، ومعظم الهيئات العلمية هي من اطلقت احتمال حصول نهب للمتحف وبقية المراكز الثقافية، لكن على الرغم من ذلك التحذير كانت المؤسسة الوحيدة التي تمت حمايتها في أثناء دخول الجيش الامريكي الى بغداد هي وزارة النفط .

في النتيجة وصلت ايدي اللصوص إلى القطع التاريخية القديمة لتختفي أعداد هائلة منها، تلك الشواهد الحية على الحضارات العراقية، فخسرت الانسانية وليس العراق فحسب مساحة كبيرة من ذاكرتها ، ولم يحصل قط أن تعرض تراث حضاري كامل للتدمير والنهب مثلما حصل للتراث العراقي ، وراحت أصابع الاتهام تشير إلى القوات الامريكية ، فضلا عن المافيات الدولية التي اشرفت على ممارسة بيع وشراء القطع الآثارية العراقية.

ولم يشهد التاريخ أبدا ان جيشاً يمثل دولة عظمى وديمقراطية يترك أعضاء الجريمة المنظمة وعصابات المافيا تقوم بنهب تراث بلد أمام سمعه وبصره دون ان يحرك ساكناً بدعوى انه : (لم يتلق تعليمات بصدد حماية المتحف) ، لتستمر عمليات النهب طيلة أسابيع امام انظار الجيش الامريكي.

سنحاول في سلسلة المقالات التي اقترحنا لها عنوانا رئيسا : (في ذكرى المتحف) مناقشة حرب المتحف ، والتعرض للنتائج الكارثية على التراث الإنساني الحضاري الذي احتوته أرض العراق منذ حضارات بلاد ما بين النهرين ، من سومرية وبابلية وكنعانية وآشورية وغيرها.

لذا لا مناص من المرور على تاريخ تعرض التراث العراقي للسرقة على ايدي الكثير طبقا للحوادث القديمة المتعلقة بآثار العراق، والتي تبنى ابطالها طريقة القصص البوليسية من أمثال الفرنسي (راوول مونييه) المختص بسرقة القطع من المتاحف ، كما رشحته أجاثا كريستي في عملها الذي حمل عنوان : عملية قتل في بلاد ما بين النهرين، فعندما وصل مونييه إلى مدينة (أور) قدم نفسه بوصفه قساً في كنيسة تهمه الكتابات القديمة المنقوشة والمعروضة في المدينة، واستطاع ان يضع قوالب للتحف والقطع التي أثارت اهتمامه لينقلها بعد ذلك لصائغ تركي قام بدوره بصب نماذج مزيفة حلت محل القطع الأصلية في متحف أور ، أما القطع الأصلية فبيعت في الأسواق العالمية ، فهناك دائما جامعو تحف على استعداد لدفع ثمن كبير للقطع القديمة الأصلية دون طرح اية اسئلة.

ورواية أجاثا كريستي هذه تشابه الى حد كبير ما جرى لمتاحف العراق ، وتحديدا المتحف العراقي ،فقد عبرت بلاد سومر القديمة الفرقة الأمريكية ١٠١ والفرقة المحمولة جوا ٨٢ ، وفرقة المشاة الآلية والمارينز لتخلف كل ذلك الدمار في مملكة بابل، واقتربت قوات العقيد الامريكي (اريك شوارتز) من المتحف العراقي، وكانت رشقة من بندقية أحد جنوده كافية للمحافظة على النظام بالقرب من علاوي الحلة، وصل العقيد اريك وكان قد بقي ثلاثة من حراس المتحف يقاومون في حماية المتحف واستطاعوا ان يحموا المتحف حتى وصول قوات العقيد اريك، وبوصوله قريبا من المتحف اتصل به احد مسؤولي المتحف قائلا : سيادة العقيد لم يبق لدينا سوى ثلاثة حراس بدون سلاح من أجل حماية هذا المتحف، الذي يتضمن ثروات لا تقدر بمال، ان هذا المكان ، هو الارث التاريخي والحضاري ليس للعراق فحسب وانما للانسانية جمعاء ، فافعل شيئا لحمايته مادام لم تسرق منه اية قطعة الى الان، فأعمال النهب في كل مكان ارجوك افعل شيئا .

لم يحرك العقيد أريك ساكنا، معربا عن دهشته من كلام المسؤول، لكنه من كلمات قليلة اوصلها الى المسؤول تكشف عن ان وحدته مكلفة بالمحافظة على النظام في المنطقة التي تحتلها، ولم تكن لديه أية تعليمات تتعلق بمهمة حماية الممتلكات والاشخاص او المتاحف.

في اليوم التالي الموافق ٩ نيسان جدد أحد الحراس الثلاثة الذين بقوا في المكان لحماية المتحف الطلب لكن هذه المرة للجنود الامريكان في الفرقة الثالثة المشاة التي كانت ترابط قريبا من المتحف، واخبروهم بوجود متسع من الوقت لحماية المتحف، فاللصوص كانوا ينهبون الاماكن القريبة منه، وكانت أصوات الرصاص قد سكتت قرب محطة القطار المجاورة، وكان يكفي وضع دبابتين وبعض الجنود أمام أبواب المتحف لحمايته ، لكن العقيد شوارتز ردد من جديد : انه لم يتلق أية تعليمات جديدة بهذا الخصوص، وقال ان مهمة جنوده هي فرض استتباب الامن حيث يدور القتال في مناطق قريبة، وليس من مهماته حماية المتحف حتى لو كان اول متحف في العالم يتضمن آثار بلاد ما بين النهرين.

وفي اليوم نفسه تم تحطيم تمثال الرئيس المخلوع في ساحة الفردوس بالقرب من الشاطئ الشرقي لنهر دجلة، وكان المتحف العراقي سليما دون ان تنقصه ولو قطعة واحدة ، وفي يوم ١٠ نيسان وصلت اغمال النهب الى المكتبة الوطنية وبلغت الاخبار ان مجموعة من المثقفين كانوا يقفون امام بوابة المكتبة ودموعهم تنهمر ، دون ان يستطيعوا فعل شيء، فخطر لهم ان يتصلوا بالضباط الامريكان وقاموا بذلك فعلا ولكن بعد فوات الاوان.

يوم ١١ نسان كان الهدوء يخيم حول المتحف العراقي الذي كانت قاعاته تتضمن أكبر المكتشفات الأثرية التي تم الحصول عليها خلال القرن العشرين بمعونة العديد من البعثات الأجنبية، ولم يكن بمستطاع أي متحف آخر في العالم ان ينافس المتحف العراقي بما يمتلكه من تحف فنون بلاد ما بين النهرين.

إن مستودعات المتحف العراقي حتى صبيحة يوم ١١ نيسان كانت تضم عشرات وعشرات الآلاف من التحف النادرة، الا ان ما حصل بعد ذلك وتحديدا في الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم دوت عدة انفجارات كبيرة حطمت أبواب المتحف العراقي تحت أنظار العقيد شوارتز، وسؤال ملح يضرب بقوة في أذهان حراس المتحف : لماذا لايحرك العقيد ساكنا وهو يسمع دوي الانفجارات في مداخل متحف بلاد الرافدين؟ لا يزال السؤال دون اجابة واضحة .

لكن ماذا تعني الاجابة أمام تعرض المتحف العراقي للنهب والتحطيم بعيد الساعة التاسعة من يوم ١١ نيسان، امام انظار قادة وجنود الفرقة الثالثة المشاة في الجيش الامريكي!؟

عن الادب

امبرتو ايكو

لأمبرتو إيكو شخصيتان تتجاوزان داخل جلده

ترجمة: نوال لايقة

إيكو الاول أستاذ الأدب في جامعة بولونيا، إيطاليا، وهو خبير مختصّ في الفلسفة السّكولاستيّة التي سادت في القرون الوسطى، وكانت رسالة الدكتوراه التي أعدّها بحثاً حول المفاهيم الفنية والجمالية لدى القديس توما الأكويني. إيكو رقم واحد هذا، وبحسب اعترافاته هو، كان دائماً يستخف بالروائيين وكتّاب القصة ويعتبرهم "سجناء داخل الأكاذيب التي يخلقونها بأنفسهم".

واستمر في ذلك حتى انتابته رغبة ملحة غامضة، في أن يكتب رواية، بعد أن بلغ السادسة والأربعين من عمره. وهكذا بزغ إيكو الثاني والقصة البوليسية التي كتبها حول جريمة قتل أحد رجال الدين في القرون الوسطى، "اسم الوردة"، بيع منها ٩ مليون نسخة منذ نشرها عام ١٩٨٠.

القطع الأدبية التي جمعت في كتابه "عن الأدب" هي بغالبيّتها محاضرات وأبحاث قُدمت في مؤتمرات منذ أعوام التسعينيات، أعاد إعدادها من أجل نشرها في هذا الكتاب، وهي، بمجموعها، بقلم أمبرتو إيكو رقم ١.٠ ولكن، رغم تحيزها لإيكو الباحث، هي كثيراً ما تتقاطع مع إيكو الروائي. وأمثلته الأدبية العليا، جيمس جويس، وجورج لويس بورخيس، يبرزان كرمزين مهمين جداً، في كتابه، كما يحتوي الكتاب أيضاً على فصل عن الأسرار الخفية بعنوان "طريقتي في الكتابة". إضافة إلى أن إيكو الباحث وإيكو الروائي تسحرهما فكرة المعرفة الموسوعية، كما أن الموضوعات المُكتسبة بالتعلم التي تملأ رواياته. تستبد أيضا بإيكو الباحث الأكاديمي. ولهذا، يمكن قراءة المقطوعات الأدبية الواردة في كتابه "عن الأدب" على أنها مقالات نقدية غنية ومشوشة، حول فن الرواية والقصة.

وهي تلقي الضوء على التناقض بين العلم والروح، أو بين العقل والخرافة، ويبدو أن هذا التناقض يثير قلقاً عميقاً مثمراً لدى (إيكو) الأكاديمي و (إيكو) الروائي في اسم الوردة وويليام باسكر فيلي. يشع ذكاء علمياً ويضيء التجاويف المظلمة للعقل القروسطي، كما أن رواية "إيكو" الثالثة، تجري أحداثها في القرن السابع عشر، في المرحلة، التي كان العلم فيها قد بدأ ينأى بنفسه عن السحر والخيمياء القديمة. وقد اشتهر إيكو بتعريفه لاختصاصه اللغوي بأنه "موقف علمي؛ طريقة علمية في النظر إلى دوافع وأهداف العلوم الأخرى."، وفي هذه المقالات نجده يسخر بشدة من هؤلاء الذين يزعمون أنّه يجب مقاربة الأدب بمزاج روحي حدسي. وهو يصر على أن البحث العلمي الدقيق، هو وحده القادر على إجبار الشعر والروايات على الكشف عن أسرارها. والقصة التي كتبها (جيرارد دي نيرفال)، والتي يتأملها إيكو منذ أربعين عاماً ويقدم المحاضرات حولها، ترد أيضاً في هذا الكتاب بصورة جديدة، وقد حُولت إلى مجرد رسم بياني، بحيث يكشف عن تناقضاتها الداخلية التي تخلق "غموضها" الآسر. كما أن مقالة رائعة حول كتاب "المقولات" لأرسطو تبرهن على أن السرد القصصي هو حاجة بيولوجية لدى الإنسان، وأن أرسطو، منذ القرن الرابع، اكتشف قواعد علمية لبناء الحبكة الروائية أو القصصية، وأن هذه القواعد مازالت قابلة للتطبيق العملي في كل المجالات الثقافية. "إن أي قصة بوليسية ليست أكثر من "مقولات" أرسطو، وقد تم اختصارها إلى عناصرها الأساسية. وعندما أدرك، أثناء شبابه مدى تجاهل النقاد الإيطاليين "للمقولات" شعر أنه "مهمش مثل شاب شاذ جنسياً في مجتمع فيكتوري". وفي مؤتمر لعلوم اللغة عام ١٩٩٥، حث إيكو المؤتمرتين (زملاءه) على الرد بقوة على هؤلاء الذين يتهمونهم بأنهم يجردون الأدب من فتنته وسحره.

وقال "إن عليهم، من خلال العمل الجاد والمستمر، السخرية من هؤلاء الذين لا يرقون إليهم في الشأن والأهمية".

إن العواطف والانفعالات الشديدة وغير العلمية اللافتة والتي تقف وراء هذه الأقوال توحي بأن التزام (إيكو) بالعلم هو التزام غير مستقر وعاطفي بدلاً من أن يكون التزاماً فكرياً، وتحتوي مقالاته الواردة في هذا الكتاب على أدلة كثيرة تثبت صحة هذا. فالمقالة حول الرمزية، والتي أُلقيت كمحاضرة عام ١٩٩٤، تؤكد هذا بشكل خاص. فالرموز تعتبر فيها بشكل عام، بحسب التقليد الأوروبي، على أنها أشياء يجب أن نحل شفرتها. فالرمز يمثل شيئاً آخر، والبحث والتحقق هو الذي سيقود إلى الكشف عن ماهية هذا الشيء الآخر لكن إيكو يؤكد أن هذا سوء فهم للرمزية. ويقول إن الرمزية الحقيقية هي "كشف لحظي عما هو غامض ومبهم". وأن ما نكشف عنه يجب أ ن يبقى دائماً "من الصعب استيعابه أو التعبير عنه ووصفه." إذا كان هذا صحيحاً، يمكن لأي مشكك أن يتساءل: كيف إذاً يمكن التعرّف على الرمز وتمييزه؟ وجواب (إيكو) عن هذا السؤال هو أن الرموز هي شخصية وحدسية بشكل محض. وأن الشخص الذي "يتمتع بحساسية للأسلوب الرمزي"، وأثناء قراءته لمقطع ما، سيجد أن مفردة أو عبارة محددة سوف تبرز "كشبح"، معلنة عن نفسها على أنها "تجل لشيء ما، روحي أو خارق". إنها تجربة ليست قابلة للنقاش أو للشرح.

من الغريب أن تصدر مثل هذه الأفكار عن شخص مؤيد للنقد الأدبي العلمي. إيكو يدرك بالطبع تناقضاته الداخلية، ويرى أنها أمر لا يمكن تفاديه في عصر ما بعد المسيحية فالآن، بعد أن ذهب الله، شيء ما يجب أن يحل محله، والأدب هو مرشح محتمل للحلول محله. والأدب رموزه الروحية أو الخارقة هي "التماعات شاحبة لحقيقة لم نعد نلمسها ونبحث عنها في الدين." والعلم هو مرشح آخر محتمل. فبحثه عن اليقين يعبر عن حاجة دينية، وعقلانيته قد تكون سطحية لا يتجاوز عمقها سطح الجلد. أرسطو أسس قواعده لبناء الحبكة القصصية على الأمثلة التي أعجبته من التراجيديا الإغريقية، وبالتالي، يقول إيكو فإن بنية "المقولات" التي تبدو علمية، تستند إلى مسألة تفضيلات شخصية، محضة.

هذه المعضلات التي لا يمكن حلها لا تهم كثيراً عندما تتعلق بالنقد الأدبي، الذي هو أبعد ما يكون عن مسألة حياة أو موت. لكنها تصبح أكثر خطورة عندما تتعلق بالأخلاق، وفي إيطاليا، يؤخذ إيكو على محمل الجد كمعلّم أخلاقي فاضل. "الإيمان أو عدم الإيمان"، الذي نُشر في بريطانيا عام ٢٠٠٢، كان عبارة عن رسائل متبادلة مع الكاردينال مارتيني في ميلانو، وتناولت مواضيع مثل الإجهاض، السماح بكهانة النساء، وإمكانية التمسك بالأخلاق دون الإيمان بالله، وهنا يطرح إيكو مسألة العلماني الإنساني المحب للخير. في "عن الأدب" كثيراً ما يتغازل إيكو مع الفكرة المابعد حداثية القائلة بأن كل النصوص ما هي إلاّ شظايا مُدومة. من نصوص أخرى، عالقة في عاصفة التناص المتبادل. لكنه مع ذلك يؤكد أن بعض النصوص هي أكثر صدقاً وصحة من غيرها، وأن الأدب يجب أن يحسن قراءه كما فعل الدين في مرحلة ماضية. وهو يشجب أوسكار وايلد ويعتبره" متأنقاً (أحمق) لأنه أنكر وجود أي صلة بين الأدب والأخلاق. بل على العكس، يؤكد إيكو، فإن هؤلاء "التعساء الحقراء" الذين يطوفون حول الناس ويرمون الحجارة من فوق الجسور ويضرمون النار في الأطفال، إنما يسلكون بهذا الشكل "لأنهم مبعدون عن عالم الأدب". هذا اعتقاد يعظم الأدباء، لكنه يبدو غير محتمل إلا بقدر ما يكون أكثر الأشخاص استقامة وتمسكاً بالفضيلة في المجتمع منغمسين في الدراسات الأدبية وهو افتراض غير صحيح.

حجة إيكو الأخرى حول قدرة الأدب على تحسين قرائه هي أنه يعرض لنا شخصيات يحدد النص سلوكها، وبالتالي يعلمنا أننا لسنا قادرين على الهرب من أقدارنا. وتبدو هذه الفكرة أكثر سذاجة من سابقتها.

"فالقدر" هو خرافة، يقدم للمرء تبريراً خرافياً (لا عقلاني) لكل ما يخطر للمرء أن يفعله. إذا شجع الأدب حقاً اعتقاداً كهذا، سيكون ذلك سبباً كافياً لمنع تدريسه في المدارس. كلا هاتين الفكرتين الضعيفتين تظهران في المقالة الأولى من الكتاب، ولكن ما يلي لك من أفكار أفضل بكثير.

متحف اللوفر

في فيلم شفرة دافنشي

سمحت وزارة الثقافة الفرنسية للمخرج السينمائي الأميركي رون هاوارد بتصوير مشاهد في متحف اللوفر الشهير من فيلمه الجديد المأخوذ عن رواية "شفرة دافينشي" التي حققت أفضل المبيعات في أنحاء العالم.

وقد زار فريق إنتاج اللوفر لاختيار أماكن التصوير في قاعة العرض الكبرى التي تجرى فيها الأحداث الأولى للرواية حيث يلعب دور البطولة في الفيلم الذي يبدأ تصويره في مايو/أيار القادم النجم السينمائي توم هانكس.

وأثار الاهتمام برواية "شفرة دافينشي" نشاطا كبيرا اشتمل على تنظيم جولات متخصصة لباريس لاستكشاف الأماكن والنظريات التي تحيط بأعمال الفنان ليوناردو دافينشي الذي تعرض أشهر لوحاته "الموناليزا" باللوفر.

وتسعى فرنسا لجذب أنظار السينمائيين إلى آثارها ومتاحفها لتعزيز السياحة بها وتوفير وظائف للآلاف من العاملين المحليين في المجال الفني الذين قاموا باحتجاجات أثناء مهرجان كان السينمائي العام الماضي بسبب استقطاعات في مزايا الرعاية الإجتماعية التي كانوا يحصلون عليها.

تجدر الإشارة إلى أن الفيلم الجديد "شفرة دافينشي" ليس أول عمل يجمع بين النجمين الأميركيين المخرج هاوارد والممثل هانكس فقد سبق أن تعاونا في أكثر من عمل مثل الفيلم الشهير "أبولو ١٣".

اصدارات جديدة

فقه العنف المسلح في الاسلام

ضمن سلسلة ثقافة التسامح، التي يشرف عليها مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد، وبتعضيد من وزارة الثقافة، صدر للشيخ محمد مهدي شمس الدين كتاب يحمل عنوان فقه العنف المسلح في الاسلام. اشتمل الكتاب على قسمين القسم الاول، تناول الاسلاميين والعنف المسلح والحركة الاسلامية المعاصرة والعلاقة مع المجتمع الاهلي، فيما ضم القسم الثاني ابواب العنف السياسي المسلح.

والكتاب هذا عبارة عن اعتماد التسامح والعفو والسلام والعدل والاحسان والدعوة للحريات وحقوق الانسان، والابتعاد عن المنابع التي ترسخ مفاهيم الاستبداد مؤكداً في الوقت ذاته نبذ العنف واللجوء الى القوة الغاشمة في تغيير المواقف وبالتالي الاساءة الى الاسلام بوصفه ديناً للتسامح والفضيلة والحوار والاخلاق الحميدة.

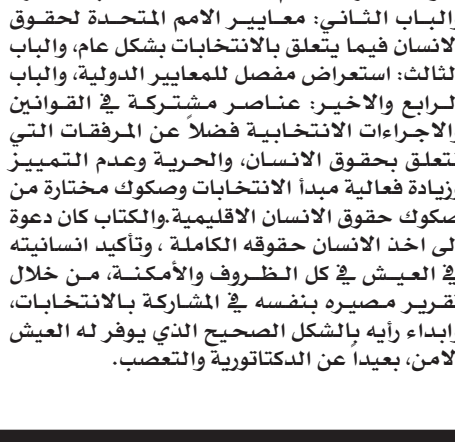

حقوق الانسان والانتخابات

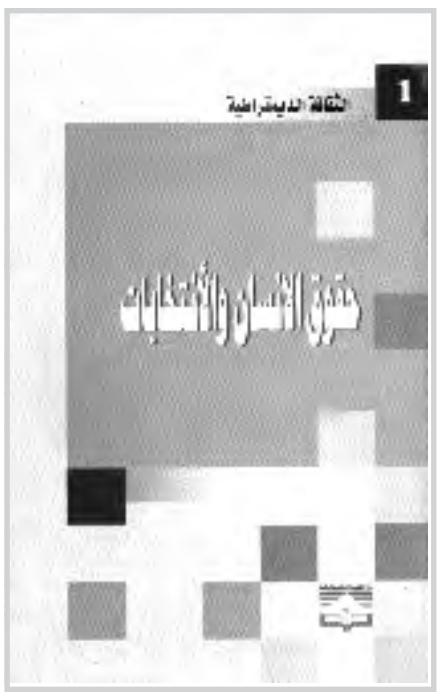

ضمن سلسلة الثقافة الديمقراطية، صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، كتاباً يحمل عنوان حقوق الانسان والانتخابات، اعداد مركز حقوق الانسان في الامم المتحدة، اشتمل الكتاب على اربعة ابواب، ضم الاول: مشاركة الامم المتحدة في الانتخابات نظرة، والباب الثاني: معايير الامم المتحدة لحقوق الانسان فيما يتعلق بالانتخابات بشكل عام، والباب الثالث: استعراض مفصل للمعايير الدولية، والباب الرابع والاخير: عناصر مشتركة في القوانين والاجراءات الانتخابية فضلاً عن المرفقات التي تتعلق بحقوق الانسان، والحرية وعدم التمييز وزيادة فعالية مبدأ الانتخابات وصكوك مختارة من صكوك حقوق الانسان الاقليمية.والكتاب كان دعوة الى اخذ الانسان حقوقه الكاملة ، وتأكيد انسانيته في العيش في كل الظروف والأمكنة، من خلال تقرير مصيره بنفسه في المشاركة بالانتخابات، وابداء رأيه بالشكل الصحيح الذي يوفر له العيش الامن، بعيداً عن الدكتاتورية والتعصب.